

التأثيرات الاجتماعية والثقافية على المجتمع الفلسطيني جراء عملية الضم وآليات مواجهتها The Social and Cultural Risks to the Palestinian Society as a Result of the Annexation Process

ختام عودة¹

Khetam Ouda¹

¹ علم الاجتماع، جامعة الأقصى، غزة، فلسطين

تاريخ النشر: 2021/08/01

تاريخ القبول: 2021/4/05

تاريخ الإستلام: 2021/3/03

الملخص: يقوم البحث باستقصاء عملية الضم التي تؤدي إلى تأثيرات جوهرية على المجتمع الفلسطيني اجتماعياً وثقافياً، والتركيز على آليات مواجهتها، وتتمحور مشكلة الدراسة في التساؤل الرئيس: ما هي التأثيرات الاجتماعية والثقافية على المجتمع الفلسطيني جراء عملية الضم وآليات مواجهتها؟ إن من أهم التأثيرات الاجتماعية والثقافية والنفسية والصحية لعملية الضم، أنها تؤثر على الترابط الأسري والنسيج الاجتماعي، وتؤثر سلباً على العلاقات الاجتماعية التي تفرضها عادات وتقاليد الإنسان الفلسطيني من تقطيع الأوصال بين هذه القرى والمدن، وعزل أسرة البيت الواحد وعزل أفراد العائلة عن بعضهم وعزل الطلبة عن زملائهم، الأمر الذي يؤثر سلباً على حالتهم النفسية، وخلق أجواء من الفراغ في العلاقات والحرمان، وزيادة البطالة والفقر، إضافة إلى التهجير القسري الداخلي للمجتمع الفلسطيني. ونتيجة لذلك توصل البحث إلى آليات مهمة لمواجهة عملية الضم، أهمها: تكثيف الجهود المجتمعية الفلسطينية، والاهتمام بالدور الأكاديمي في مواجهة عملية الضم، والمواجهة بالوسائل الإعلامية، وإيجاد خطة اعلامية موحدة ومتكاملة، ورفع مستوى الوعي لدى المجتمع الفلسطيني لمخططات الاحتلال الحالية والمستقبلية، وتفعيل دور منظمات المجتمع المدني للتصدي لعملية الضم، والعمل على مقاومة التهجير القسري للسكان في مناطق الضم. وأوصى البحث الحالي بعمل لقاءات ومؤتمرات بشكل دوري لبحث عملية الضم، وتشكيل لجان شعبية وجماعية وإعلامية وأكاديمية لمواجهة إرهاب المستوطنين وإعتداءاتهم، والعمل على تعزيز الهوية الاجتماعية والثقافية الفلسطينية، وإنهاء الانقسام الفلسطيني، وتقديم الدعم والمساندة للتصدي لظاهرة الفقر والتهجير القسري.

الكلمات المفتاحية: عملية الضم- التأثيرات الاجتماعية- التأثيرات الثقافية- المجتمع الفلسطيني.

Abstract :

Through annexation, the occupying state, Israel, seeks to achieve a number of strategic goals that focus not only on depleting the resources of the Palestinian people, but also on striking their social and cultural structure, all while finding ways to legalize the process.

This research investigates the fundamental risks to the Palestinian society posed by the annexation process, and focuses on mechanisms to confront them. The essence of the study comes in the form of a simple question:

What are the social and cultural risks posed by the annexation process?

One of the most important social, cultural, psychological, and health-affecting risks of the process of annexation is the negative effect it has on the very social fabric of the Palestinian society, and on the

*إيميل الباحث الرئيسي: khetam7676@gmail.com

social relations imposed by the customs and traditions of the Palestinian person, the latter is demonstrated in the severing of connections between villages and cities, the isolation of households of a family, family members from one another, and students from their colleagues.

This all negatively affects the psychological state of the Palestinian person, creates a feel of emptiness and deprivation in his social relationships, increases unemployment and poverty in the Palestinian community, and causes its internal displacement.

As for mechanisms to combat these risks, the research has concluded many, the most important of which were: to intensify Palestinian societal efforts in fighting the annexation process, to pay more attention to the academic role in confronting the annexation process, to increase confrontation with the media, to create a unified and integrated media plan, to raise awareness in the Palestinian community of the occupiers current and future occupation plans, to activate the role of organizations in combating the annexation process, and work to resist the forced displacement of people in annexation areas

The current research recommended holding regular meetings and conferences, to discuss the annexation process, and recommends forming communal, informational and academic committees to confront the terrorizing of Palestinian settlers and attacks on them, work to strengthen the Palestinian social and cultural identity, end the Palestinian division, and to provide support and assistance to address poverty and forced displacement.

keywords: annexation process - social risks - cultural risks - Palestinian society

المقدمة:

تعتبر عملية الضم والاستيطان الركيزة الرئيسية للأيديولوجية الصهيونية الإسرائيلية وأداة لمشروعها المغتصب للأراضي الفلسطينية؛ حيث تساهم معظم مؤسسات الاحتلال وأنظمتها الرسمية، وغير الرسمية، كل في مجاله، بتعزيز الضم والاستيطان في أرض فلسطين المحتلة، وتعتبر الأرض محور الصراع بين مالكيها والاحتلال، فمنذ خمسينيات القرن التاسع عشر وحتى إعلان قيام ما يسمى دولة الاحتلال الإسرائيلي عام 1948م كانت سياسة الاستيطان أشبه بالتسلل الصامت.

وبدأ الحديث "إسرائيلياً" عن ضم غور الأردن وأجزاء كبيرة من الضفة الغربية منذ حرب عام 1967م، بدءاً من خطة ورؤية يغتال آلون التي تهدف إلى السيطرة على الضفة الغربية والشرقية استراتيجياً، وتوضح أن حدود "ما يسمى" إسرائيل يجب أن تمتد على طول نهر الأردن متضمنة غور الأردن وشمال البحر الميت مروراً بخطة نفتالي بينت عضو المجلس الوزاري المصغر في حكومة نتنياهو السابقة عام 2016م، والتي طرحت فكرة ضم كافة مناطق "ج" التي تشكل غالبية مساحة الضفة الغربية. ويأتي إعلان نتنياهو في أيلول / سبتمبر 2019م عن رؤيته لضم غور الأردن والمستوطنات في الضفة الغربية استمراراً للمساعي الإسرائيلية في ضم الأراضي التي احتلتها عام 1967م، وتأكيداً لسيادتها عليها وإعلانها جزءاً من الكيان المحتل وتشريع ذلك، حيث تمكن الاحتلال من إقناع الجانب الأمريكي ليضعها كما هي في ما عرف بـ "صفقة القرن" الأمريكية (للحام، 2020، 143).

ولقد رسّخ الاحتلال ضمها الفعلي للأرض الفلسطينية من خلال استمرار إقامة المستوطنات والنظام المرتبط بها من حواجز عسكرية، وطرق إستيطانية، وجماد الضم، ونقل المستوطنين الإسرائيليين إلى الأراضي الفلسطينية، والتهمجير القسري للمواطنين الفلسطينيين من أراضيهم، وتوسيع نطاق القوانين الإسرائيلية إلى الضفة الغربية، وإنشاء نظام قائم على التمييز والتفرقة في المعاملة، واستغلال الموارد الطبيعية الفلسطينية (دائرة شؤون المفاوضات، ص 5).

ويُعرف الضم بأنه إستيلاء قسري على الأراضي من جانب دولة ما على حساب دولة أخرى، ويفترض مسبقاً احتلالاً فعلياً للأرض، ويظهر النية الواضحة للإستيلاء عليها بشكل دائم (هوفمان، 2013، 1). ويمكن للبحث الحالي أن يُعرف

عملية الضم تعريفاً إجرائياً: بأنها تهجير قسري للمجتمع الفلسطيني لصالح الاحتلال الإسرائيلي، مما ينتج عنها تأثيرات اجتماعية وثقافية وتأثيرات أخرى.

وفي خضم الانشغال بتداعيات فيروس كوفيد 19 "كورونا" الذي اجتاح العالم بأسره، مسيطراً على تغطيات وسائل الإعلام وحركات الدول، ثمة خطوة أقل ما توصف به اجتماعياً وثقافياً بـ "الكارثية"، يجري التحضير لها، وهي ضمّ أراضٍ في الضفة الغربية لسيادة كيان الاحتلال، وفق ما يلوّح به ساسته برعاية أمريكية.

وخلافاً لما اعتقدته إدارة الاحتلال، والمتشددون الصهاينة، فإن كافة المجتمع الفلسطيني المتمثل بالقيادة الفلسطينية ومعها كل الفصائل الفلسطينية الأخرى، قد بادرت على رفض خطط الضم منذ البدايات، وأكدت على أنها لن تمر وستذهب إلى مزبلة التاريخ، وأكدوا على عدم القبول بدولة من دون القدس الشرقية، التي ستكون عاصمة دولة فلسطين المنشودة المنصوص عليها، والمعترف بها من الأمم المتحدة، ومعظم دول العالم (القلاب، 2020).

وإن لعملية الضم أثر على جميع جوانب النسيج الاجتماعي لحياة المجتمع الفلسطيني، ويقوم على إثرها إنشاء جيوب معزولة وتجمعات سكانية مفصولة عن خدماتها وشبكاتهما الاجتماعية والثقافية الأساسية، مما يزيد الصعوبات الاجتماعية والثقافية التي يواجهونها نتيجة الضم.

مشكلة الدراسة:

في ظل تسارع المد الاستيطاني والاستعداد لعملية الضم وتهويد المزيد من الأراضي الفلسطينية بالأخص في الضفة الغربية ومدينة القدس؛ إضافة إلى خطة ترامب التي تنص على ضم المستوطنات مما يعني الاستمرار بسياسة التوسع الإسرائيلي والقضاء على أي حل واقعي لإقامة دولة فلسطينية، ويتزامن ذلك في ظل استمرار الانقسام والأزمة التي تعانيها السلطة، وأزمة كوفيد 19 "كورونا"، إضافة إلى اقتصار الدعم العربي للقضية الفلسطينية على المستوى المعنوي في أحيان كثيرة، دون وجود برامج وآليات عمل واضحة من المؤسسات الفلسطينية الاجتماعية والثقافية.

لقد ساهمت هذه العوامل في إضعاف السياسات الاجتماعية والثقافية الحالية، وعدم قدرتها على صياغة معادلات ميدانية تمكن المناطق المشمولة بعملية الضم وقاطناتها من الصمود، وهذا ما شجع الاحتلال على الاستمرار في مخططاته الاستيطانية دون رادع.

ومن هنا تتمحور مشكلة الدراسة في التعرف على التأثيرات الاجتماعية والثقافية على المجتمع الفلسطيني جراء عملية الضم وآليات مواجهتها، ويمكن تحديد مشكلة البحث في التساؤل الرئيس التالي: ما هي التأثيرات الاجتماعية والثقافية على المجتمع الفلسطيني جراء عملية الضم وآليات مواجهتها؟

ويتفرع من هذا التساؤل الرئيس الأسئلة التالية:

ما أهم التأثيرات الاجتماعية على المجتمع الفلسطيني جراء عملية الضم؟

ما هي التأثيرات الثقافية على المجتمع الفلسطيني جراء عملية الضم؟

ما هي آليات مواجهة التأثيرات الاجتماعية والثقافية على المجتمع الفلسطيني جراء عملية الضم؟

أهداف البحث:

تتمثل أهداف البحث الحالي في الأهداف الآتي:

إلقاء الضوء على التأثيرات الاجتماعية والثقافية جراء عملية الضم، ومعرفة مدى تأثير ذلك على المجتمع الفلسطيني.

التعرف على آليات مواجهة التأثيرات الاجتماعية والثقافية لعملية الضم.

التوصل إلى نتائج وتوصيات مقترحة لتأثيرات عملية الضم اجتماعياً وثقافياً.

منهج البحث:

يعتمد البحث الحالي على المنهج الوصفي التحليلي الذي يسعى إلى وصف الظواهر المختلفة لميدان البحث المتعلقة بالتأثيرات الاجتماعية والثقافية على المجتمع الفلسطيني جراء عملية الضم، وذلك من خلال دراسة تلك التأثيرات للحصول على وصف دقيق للنتائج الناجمة عن عملية الضم.

تأثيرات عملية الضم على المجتمع الفلسطيني:

تأتي عملية الضم ضمن المشروع الاستعماري الصهيوني وطرد السكان الفلسطينيين الأصليين وقهر إنسانيتهم: هذا حال المجتمع الفلسطيني من قبل عام 1948م حيث تم تحويل 76% من فلسطين التاريخية إلى إسرائيل عبر استقدام الهجرة اليهودية من خارجها للاستيطان الاستعماري فيها عن طريق الاستحواذ على أراضي المجتمع الفلسطيني الأصلي وترحيل غالبية العظمى من أرضه ومحيطه الاجتماعي، وطبق الكيان الصهيوني نظام حظر التجول، والحد من حركة الفلسطينيين، ثم الإغلاق الخارجي والداخلي، جزئياً وكلياً، وبالأخص عبر نقاط التفتيش العسكرية، ولا يمكن عبورها إلا من خلال بطاقة الهوية، وفي السنوات الأخيرة، وبعد الشروع في بناء الجدار، اضطر الفلسطيني لتقديم طلبات للحصول على تصاريح خاصة أخرى للسفر من منطقة إلى أخرى.

واستمر الضم للأرض من دون اعتبار للشعب الأصلي على الفور بعد حرب عام 1967م حيث ضمت القدس الشرقية إلى إسرائيل المحتلة بعد توسيع مساحتها 12 مرة على حساب أراضي الضفة الفلسطينية، وبعيداً عن السرد التاريخي لعمليات الاستيطان والضم، ووفق كل من قانون القومية لعام 2018م، وخطة إدارة ترمب "السلام مقابل الازدهار" لعام 2020م، لا توجد سيادة وحقوق جماعية سوى لشعب واحد هو شعب إسرائيل (سالم، 2020، ص 9-12) (ملحم، 2020، ص 99-102). ومن هنا يمكن للبحث تقسيم هذه التأثيرات إلى التالية:

1. التأثيرات الاجتماعية لعملية الضم:

إن ضم الأراضي المحتلة ما هو إلا انتهاك خطير لميثاق الأمم المتحدة واتفاقيات جنيف، ويتعارض مع القاعدة الأساسية التي أكدها مجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة مراراً وتكراراً، بأن الاستيلاء على الأراضي عن طريق الحرب أو القوة غير مقبول. لقد حظّر المجتمع الدولي الضم على وجه التحديد لأنه يحرض على الحروب والدمار الاجتماعي والاقتصادي وعدم الاستقرار السياسي والانتهاكات الممنهجة لحقوق الإنسان والمعاناة الإنسانية المتفشية على نطاق واسع (الأمم المتحدة، حقوق الإنسان، 2020).

الأمر الذي يقلق أغلب المجتمع الفلسطيني من التهجير القسري الداخلي، ويخشون من أن يؤدي ضغط الظروف المعيشية والمرشحة للتفاقم في حالة إتمام عملية الضم إلى هجرتهم من مناطقهم، أو سيصبح المجتمع الفلسطيني في المناطق الخاضعة لعملية الضم سجناء في مناطقهم، وستكون التجمعات السكانية التي يقطنها مئات الآلاف من المجتمع الفلسطيني محاصرين في مناطق معزولة، مما سيؤدي إعاقة حرية حركة الفلسطينيين، وقدرتهم في الوصول إلى مناطق عملهم، وعدم القدرة على الانتقال بين القرى والمدن الأخرى، لأنها ستصبح معزولة عن مجتمعاتهم. إضافة لذلك فإن عملية الضم تحول الأراضي الفلسطينية في الضفة الغربية إلى كتونات معزولة غير متواصلة جغرافياً واجتماعياً، وبالتالي منع التواصل الاجتماعي وغير قابلة للحياة.

ومن التأثيرات الأخرى والمباشرة لعملية الضم اقتطاع مساحات واسعة من أراضي الفلسطينيين، وضمها للجانب الإسرائيلي المحتل، معظمها أراضي مأهولة بالسكان، مما سيؤثر على النسيج الاجتماعي وعلى علاقاتهم وتواصلهم الاجتماعي، وعدم قدرتهم على زيارة أقاربهم، وممارسة أنشطتهم الاجتماعية لشريحة كبيرة من الأسر الفلسطينية.

وتشكل عملية الضم عقبة أمام الزواج بين أفراد المجتمع الفلسطيني، ويصبح أفراد الأسرة الواحدة معزولين بعضهم عن بعض، وخير شاهد على ذلك عدم منح قوات الاحتلال تصاريح متابعة العلاقات الأسرية، رغم وجود علاقات قرابة أو زواج بين الأفراد من مختلف القرى على جانبي الجدار، وهي جزء من كلتا العائلتين المصغرتين، أو من كيانات أكبر، مثل عائلة وأسرة موسعة أو "حمولة" وعشيرة (أبو عامر، 2018).

كما سينتج عن عملية الضم تقطيع أواصر الأسر الفلسطينية؛ حيث أنه تعود أصول العديد من الأسر الفلسطينية الصغيرة إلى بلدات أكبر في الضفة، ما زالوا يحتفظون بعلاقات معها، وكثيراً ما يكون سكان مناطق بعيدة منحدرين من نفس درجة القرابة، وتقتضي المناسبات الدينية والاحتفالية، لاسيما حفلات الزواج ومراسم الجنازات حضور أفراد الأسرة الموسعة، وهذه سمات مهمة في المناسبات الاجتماعية.

وإن الحالة الاجتماعية للإنسان الفلسطيني، وما يشعر به من أضرار جراء عمليات الإستيطان والضم، والتي تجعل حياته على هذه الأرض شبه مستحيلة، والتي تؤثر على الترابط الأسري والنسيج الاجتماعي، والتي تفرضها عادات وتقاليد الإنسان الفلسطيني من تقطيع الأوصال بين هذه القرى والمدن، وعزل أسرة البيت الواحد (إبراهيم، 2010، ص 146-149).

2. التأثيرات الثقافية لعملية الضم:

ذكرت الأمم المتحدة في أكثر من مناسبة أن الاحتلال الإسرائيلي هو مصدر انتهاكات جسيمة لحقوق الإنسان التي يتمتع بها الشعب الفلسطيني، ومن بين هذه الانتهاكات قوانين التخطيط التمييزية، واستغلال العمال، والانتهاكات الواسعة النطاق لحقوق الخصوصية، والقيود المفروضة على وسائل الإعلام وحرية التعبير، واستهداف الناشطين والصحفيين، والاحتجاز التعسفي، واحتجاز الأطفال، وإنفاذ القانون بطريقة تمييزية، وفرض نظام ينطوي على مستويات من الحقوق الاجتماعية والثقافية والسياسية والقانونية والاقتصادية متباينة على أساس العرق والجنسية. أما المدافعون الفلسطينيون عن حقوق الإنسان فيتعرضون للاعتداء والتجريم والتصنيف على أنهم إرهابيون. بالإضافة إلى ذلك كله، إن الاحتلال الإسرائيلي يحرم الفلسطينيين من حق تقرير المصير (الأمم المتحدة، حقوق الإنسان، 2020).

وتقوم سلطة الاحتلال منذ يومها الأول على مصادرة مواقع أثرية فلسطينية، وأعلن الاحتلال مؤخراً نيته مصادرة مناطق وقلاع أثرية كقلعة دير سمعان والتي تقدر مساحتها بأكثر من 6 دونمات من أراضي كفر الديك، ودير قلعة والتي تزيد عن 17 دونماً من أراضي دير بلوط. ولقد شرعت قوات الاحتلال بإحاطة خربة دير سمعان بوحدات سكنية استيطانية، علماً أنها تحتوي على آثار تعود إلى العهدين الروماني والبيزنطي فضلاً عن شواهد إسلامية تعود للفترة الأموية، وبقايا أثرية قديمة لا زالت شاهدة على حضارة عريقة تمثلت بأرضيات وأعمدة حجرية، وأبواب لا زالت قائمة من دون جدران أو سقف، وأرضيات فسيفسائية وغيرها الكثير.

وما يسعى إليه الاحتلال من وراء عملياته الأخيرة هو مصادرة المواقع والمعالم الأثرية الفلسطينية ما هو إلا محاولة بآسنة لتغيير الواقع في محاولة لطمس الهوية الفلسطينية والمعالم الأثرية الشاهدة على هوية المكان وأصالته. والجدر بالذكر أن سلطة الاحتلال كانت قد وضعت في السنوات السابقة لافتات تعريفية باللغة العبرية حول الحرم القدسي ودخله، وتقوم بشكل مستمر بإضافات أمنية على نقاط التفتيش في البلدة القديمة (موقع الميادين نت، 2020).

وتضيف عملية الضم والتوسع الاحتلالي تأثيرات ومخاطر ثقافية بسبب منع عدد من المعلمين من الانتقال من وإلى هذه المناطق، وكذلك الأمر بالنسبة لطلبة المدارس والجامعات، مما يؤدي إلى صعوبات على العملية التعليمية لعدد

كبير منهم، ومنع حقهم في التعليم، خاصة أنه لا يمكن سدّ حاجة هذه المدارس من المعلمين من هذه القرى والتجمّعات بأية وسيلة كانت، والأمر يكاد يكون مستحيلًا بالنسبة لطلبة الجامعات، وأما أكبر مشكلة فهي في التجمّعات التي لا يوجد فيها مدارس على الإطلاق، والتي تحتاج إلى حل سريع قبل إيجاد حلول للمشاكل السابقة. وقد يكون المعلمون أكثر من يتعرّض للمعاناة أثناء تنقلهم عبر هذه المناطق المشمول بعملية الضم، نظراً لأنهم يتعرضون لممارسات يومية متنوّعة تتمثل في:

عدم السماح لهم بالوصول إلى مدارسهم، وزيادة كلفة الدراسة نتيجة لانتقال الطلاب من أماكن سكنهم نحو مدارسهم لاضطرارهم استخدام وسائل النقل، والتعرض للمعلمين والمعلمات بالكلمات والألفاظ النابية باستمرار، والإصرار على التفتيش الجسدي، وخاصة للمعلمات، مما يؤدي إلى عدم انتظام العملية التعليمية في المدارس، وعدم إعطاء الطلاب حقهم التعليمي في المناهج المقررة، ومنع موظفي مكاتب التربية والتعليم من الوصول إلى المدارس، وهذا يؤدي إلى انخفاض مستوى التنسيق بين المدارس ومكاتب التربية والتعليم وإلى إرباك العملية التربوية بشكل عام (وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية "وفا"، 2020).

الأمر الذي ينتج عن هذه التأثيرات تراجع للمستوى الثقافي والتعليمي بين أفراد المجتمع الفلسطيني في المناطق المشمولة بعملية الضم؛ إذ أن الطلاب لن يتمكن الطلبة بالالتحاق بالجامعات والمعاهد، إضافة إلى عدم القدرة على إقامة المؤتمرات والندوات الثقافية وخاصة المؤتمرات والندوات الوطنية.

3. تأثيرات أخرى ذات صلة لعملية الضم على المجتمع الفلسطيني:

إن تأثيرات عملية الضم الإسرائيلي ليس مقتصرة على فئة أو قطاع فلسطيني معين؛ بل يمتد تأثيراتها على جميع الفئات والقطاعات الفلسطينية، والمجتمع النسوي الفلسطيني ليس بعيداً عن ذلك حال جميع مكونات المجتمع الفلسطيني المتأثر بعملية الضم، ونظراً للعادات الاجتماعية، فمن غير المقبول على نطاق واسع أن تسافر المرأة وحدها، مما يصعب على النساء المتزوجات في مناطق الضم زيارة أقاربهن، مما يؤثر على الزيجات خارج مناطق الضم، والتوجه نحو الزواج المبكر نتيجة القيود، ليتجنب الأب إرسال ابنته لمدرسة أو جامعة في ظل ظروف غير آمنة (الأمم المتحدة "الإسكوا"، 2019، ص 29-31).

وتطال التأثيرات الناتجة عن عملية الضم الشباب الفلسطيني الذي يعيش أوضاعاً اجتماعية صعبة نتيجة لسياسات الاحتلال، وتعتبر هذه الأوضاع الاجتماعية تحدياً أمام تفعيل دور مؤسسات المجتمع المدني في تعزيز مشاركة الشباب في الحياة العامة، حيث يعاني الشباب بسبب قلة فرص العمل، والتي باتت من أهم أولويات الشباب التي تدفع بهم للبحث عن فرص عمل، لضمان توفير الاحتياجات الضرورية والحياتية للعيش بكرامة، وهذا ما أدى أيضاً إلى الدفع بأعداد كبيرة من الشباب بالهجرة من أجل التعليم والعمل الذي بات باهظ التكاليف (جلالطة، وآخرون، 2018، ص 88).

بينما تتسبب عملية الضم في تأثيرات على القطاع الصحي وخدماته ومرافقه نتيجة زيادة القيود على الحركة والإغلاق، وقطع مسافة طويلة على المسافة التي كان يقطعها الفلسطينيون للوصول إلى أقرب مستشفى، كما سيشكل عقبة أمام الوصول الضروري للخدمات الصحية لنسبة كبيرة من الأسر الموجودة، مما سيجعلهم عرضة للمشاكل الصحية والأمراض وخاصة الأطفال الرضع، وستفاقم عملية الضم المشاكل الصحية، وتؤخر وصول المستوصفات الطبية المتنقلة، وسيارات الإسعاف، وتوزيع إمدادات الأدوية واللقاحات، وستزيد الضغط على مقدمي الخدمات الصحية العامة بزيادة المسافات بين المرافق والموظفين (الزغير، 2008، ص 102-103).

خامساً: أليات مواجهة عملية الضم اجتماعياً وثقافياً:

في واقع الأمر تبدو الحلول متوفرة، لكنها تحتاج إلى الكثير من الإرادة والتحدي والنفس الطويل.

• تكثيف الجهود المجتمعية الفلسطينية: ويتطلب ذلك جمع وتكثيف جهود المجتمع الفلسطيني بفصائله ومستقلته على امتداد وجوده داخل وخارج فلسطين، وبكل طاقاته وإمكاناته، على برنامج وطني موحد يحقق تطلعاته في التحرير والعودة، فالوحدة المجتمعية الوطنية صمام أمان للقضية، وضامن أساسي للحقوق الفلسطينية، وإن التفاف المجتمع الفلسطيني ووحدته كفيل بإعادة القضية الفلسطينية إلى سلم أولويات واهتمام العالم، وحشد الرأي العام العالمي للوقوف في وجه المشاريع الأمريكية المتماهية مع رؤية الاحتلال للحقوق الفلسطينية (المركز الفلسطيني للإعلام، 2020).

• الدور الأكاديمي في مواجهة عملية الضم: على الأكاديمي الفلسطيني القيام بدوره في توضيح تأثيرات عملية الضم الصهيونية من خلال البحوث الأكاديمية والعملية، التي تبين ضرر ذلك على الحياة الاجتماعية والثقافية في مجتمعه الفلسطيني، وفضح جرائم الاحتلال في المحافل العلمية الدولية، فالأكاديمي الفلسطيني صاحب رسالة ودوره كبير في بناء الثقافة والحياة الاجتماعية، واستثمار ذلك في مواجهة عملية الضم، سواء في التعليم أم الأبحاث أم المؤتمرات، ونشر الوعي والثقافة بتأثيرات هذا العملية، ودعم وسائل المقاومة في مواجهة عملية الضم.

• المواجهة بالوسائل الإعلامية: لا بد من الوسائل الإعلامية تكثيف التغطية الإعلامية بما يوازي حجم التأثيرات التي يشكّلها القرار الإسرائيلي على القضية والحقوق الفلسطينية، لاسيما في ظل رفض المجتمع الدولي لقرار الاحتلال، وضرورة توحد الإعلام الفلسطيني في مواجهة عملية الضم، ونشر التفاصيل والمعلومات المتعلقة بعملية الضم لبيان خطورتها، ولابد من وجود إستراتيجية إعلامية فلسطينية موحدة، وخير مثال تجربة التنمية بالعناقيد لتحقيق التنمية ولبناء جسد اقتصادي صحيح وغير عاجز عن الانعتاق من التبعية للاحتلال، فالتنمية بالتجمعات لن تكون الحل السياسي للقضية الفلسطينية ولكنها ستشكل عامل صمود لمواجهة الاحتلال.

• تفعيل دور منظمات المجتمع المدني للتصدي لعملية الضم: وذلك عبر تشكيل هيئة وطنية موسعة، والعمل مع جميع المنظمات والهيئات الأهلية للتصدي بكل السبل المتاحة لعملية الضم الهادفة إلى تصفية القضية الفلسطينية، ووضع خطط للعمل على المستوى الوطني والدولي، وتنفيذها على أرض الواقع، وتكون مهمة الهيئة تعزيز صمود سكان منطقة عملية الضم المستهدفة، وتفعيل الحركات الشعبية والوطنية على الأرض، وتكرس وحدة وطنية لمواجهة أخطر مرحلة يواجهها الشعب الفلسطيني (وكالة الصحافة الفلسطينية "وكالة صفا"، 2020).

• العمل على مقاومة التهجير القسري للسكان في مناطق الضم: وبالأخص المجتمعات البدوية القاطنة في منطقة الأغوار وضرورة دعمها ومساندتها، وذلك من خلال تزويدها بالخدمات الأساسية، وتعزيز قدرتهم على الصمود وضرورة تأمين الأساسيات الأربع لمقومات الحياة الاجتماعية والثقافية الكريمة: التعليم، والصحة، والماء، والكهرباء، حيث يشكل هؤلاء "الذخيرة" في معركة مكافحة الضم والاستيطان، وأيضاً لا بد من الاهتمام بعملية الإغاثة الإنسانية لمعالجة حالة الفقر ومعاناة السكان في مناطق الضم، والحفاظ على الحقوق والممتلكات والأراضي، وإعطاء المعاملة التفضيلية لصالح المناطق المهتدة، وتوسيع العمل في هذه المناطق كأولوية وطنية بما يخدم تجسيد الهوية الوطنية الفلسطينية، انطلاقاً من احتياجات المجتمع الفلسطيني اجتماعياً وثقافياً (بوابة اقتصاد فلسطين، 2020).

• تفعيل المقاومة الشعبية بشكل مستمر: وذلك من خلال الاستمرارية في المشاركة فيها حتى لا يظن الكيان بأن عملية الضم ستمر مرور الكرام، وأن هذه الضجة ما هي إلا زوبعة في فتنجان وستزول ولن يكون لها أي تبعات أو استنزاف للاحتلال، حيث أن الاستمرارية هي تأكيد على الهوية الفلسطينية والانتماء للأرض والوطن.

• تعزيز صمود أبناء الشعب الفلسطيني: سواء في الضفة أو في غزة أو القدس والرهان على قدرة الشعب على مقارعة الاحتلال وعدم المراهنة على دول الإقليم أكثر من الشعب، وبالتالي يزداد تشبث المواطن بأرضه وهويته.

• المشاركة المستمرة في الإعتصام: وذلك من خلال إقامة دروع بشرية تقيم في خيام دائمة على الأراضي المهتدة بالمصادرة، يشارك في هذه الخيام قيادات وازنة مع تغطية إعلامية لفضح ممارسات الاحتلال في حال أقدم على قمع أو

فض هذه الإعتصامات بالقوة، كي لا يتم هذا الضم الذي يلتهم الأرض ويقطع أوصالها ويمنع التواصل الاجتماعي بين أفراد الشعب الواحد أو حتى بين الأسرة الواحدة.

النتائج والتوصيات:

خلص البحث إلى نتائج مهمة لتأثيرات عملية الضم على المجتمع الفلسطيني منها: التهجير القسري، وارتفاع نسبة الفقر بين أبناء المجتمع الفلسطيني ووضع قيود على حركتهم، ومنعهم من الوصول إلى مناطق عملهم، واقتطاع مساحات واسعة من أراضيهم وضمها للجانب الإسرائيلي المحتل، إضافة إلى الخلل الذي ينتج عن عملية الضم على النسيج الاجتماعي والثقافي الفلسطيني، وفقدانهم السلم المجتمعي، إضافة إلى طمس الهوية الفلسطينية والمعالم الأثرية، واستهداف الناشطين والصحفيين، وفرض قيود على وسائل الإعلام وحرية التعبير، ومصادرة المواقع الأثرية.

وإن الأخطار المحدقة بعملية الضم تشكل تهديداً للوجود الفلسطيني، وحتى لا يجد المواطن الفلسطيني نفسه وحيداً يقف في وجه الاحتلال؛ يوصي البحث الحالي بعمل لقاءات ومؤتمرات بشكل دوري لبحث عملية الضم وتأثيرها على المجتمع الفلسطيني، ووضعها أمام المجتمع المحلي والدولي ليكون داعماً ومسانداً للقضية الفلسطينية، وضرورة تشكيل لجان شعبية وجماعية وإعلامية وأكاديمية لمواجهة إرهاب المستوطنين وإعتداءاتهم، وتوفير كل أشكال الدعم، وعلى السلطة الوقوف عند مسؤولياتها، فالأمر يحتاج إلى سياسات وإجراءات فلسطينية عملية، وصياغة خطط إستراتيجية، ورفع القضية للمؤسسات الدولية والعالمية، وعدم الإكتفاء بالتهديد والوعيد، والعمل على تعزيز الهوية الاجتماعية والثقافية الفلسطينية، وإنهاء الانقسام الفلسطيني، وتقديم الدعم والمساندة للأهالي والمنظمات الأهلية والمدنية لتعزيز الصمود والتصدي لظواهر الفقر والتهجير القسري.

وفي نهاية المطاف، يمكن للمجتمع الفلسطيني كمجتمع يقبع تحت مؤامرات ونيران الاحتلال مواجهة كل مخططاته على الأرض، والنهوض من جديد من خلال بناء منظومة اجتماعية وثقافية مقاومة تعيد الاعتبار للمجتمع الفلسطيني، وتسلق الطريق الصحيح نحو التحرر من التبعية للمحتل في جميع النواحي.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: المراجع العربية:

- الأمم المتحدة "الإسكوا" (2019)، الوضع الاجتماعي والاقتصادي للنساء والفتيات الفلسطينيات، "تموز/ يوليو 2016- حزيران/ يونيو 2018م، اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا، بيروت.
- الأمم المتحدة حقوق الإنسان مكتب المفوض السامي (2020)، خبراء من الأمم المتحدة يطالبون المجتمع الدولي بمساءلة إسرائيل عن ضمها أجزاء من الضفة الغربية الفلسطينية لانتهاكها القانون الدولي، 16/ حزيران / يونيو/ 2020م، "تاريخ الدخول 11 / 12 / 2020م"، <https://www.ohchr.org/AR/NewsEvents/Pages/DisplayNews.aspx?NewsID=25960&LangID=A>
- إبراهيم، بلال محمد صالح (2010)، الاستيطان الإسرائيلي في الضفة الغربية وأثره على التنمية السياسية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين.
- بوابة اقتصاد فلسطين (2020)، كيف يمكن التصدي لقرار ضم مناطق من الضفة الغربية المحتلة؟، 2 / 9 / 2020م، "تاريخ الدخول 17 / 10 / 2020م"، [/https://www.palestineconomy.ps/ar/Article/17085](https://www.palestineconomy.ps/ar/Article/17085)
- دولة فلسطين، منظمة التحرير الفلسطينية، دائرة شؤون المفاوضات.
- الزغير، رهام (2008)، الجدار الفاصل وتأثيره على النسيج الاجتماعي والبيئي والمائي في منطقتي الرام وضاحية البريد شمال القدس، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات العليا، جامعة بيرزيت، فلسطين.
- اللحام، سعيد (2020)، الضم الإسرائيلي لأجزاء كبيرة من أراضي الضفة الغربية والقدس الأغوار والمستوطنات: المجرىات والدلالات والاتعكاسات، مجلة دراسات شرق أوسطية، العدد 92، السنة 24، مركز دراسات الشرق الأوسط، المؤسسة الأردنية للبحوث والمعلومات، عمان، الأردن.
- القلاب، صلاح (2020)، هل تدرك إسرائيل خطر ضمها الأراضي الفلسطينية؟، موقع العربية نت، 3 / 7 / 2020م، "تاريخ الدخول 19 / 10 / 2020م"، <https://www.alarabiya.net/ar/politics/2020/07/03>
- زماري، عبد الله (2018)، عملية ضم إسرائيل لمستوطنات الضفة ومناطق (ج)، ورقة بحثية من البرنامج التدريبي التفكير الاستراتيجي وإعداد السياسات، المركز الفلسطيني لأبحاث السياسات والدراسات الاستراتيجية "مسارات"، فلسطين.
- عيسى، عبد الناصر (2020)، الضم الإسرائيلي لأجزاء من الضفة الغربية الدوافع والسيناريوهات. والتداعيات، تموز/ يوليو، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات.
- أبو عامر، عدنان (2018)، جدار الضم والتوسع الصهيوني حول القدس، 16 / 1 / 2018م، "تاريخ الدخول 12 / 10 / 2020م"، [/https://adnanabuamer.com/post/140](https://adnanabuamer.com/post/140)
- ملحم، عدنان (2020)، ثوابت المشروع الصهيوني في فلسطين "قراءة وتحليل في تفاصيل التاريخ والجغرافيا، مجلة شؤون فلسطينية، العدد 280.
- المركز الفلسطيني للإعلام (2020)، التصدي لخطة "الضم" يتطلب تكثيف الجهود الفلسطينية، 6 / 8 / 2020م،

"تاريخ الدخول 15 /10 /2020م"، <https://www.palinfo.com/news/2020/8/6/>

• موقع الميادين نت (2020)، الاحتلال يسطو على مواقع أثرية فلسطينية في سلفيت، 5 /أيلول /2020م، "تاريخ الدخول 11 /12 /2020م"، <https://www.almayadeen.net/news/culture/1420911>

• جلايطة، أبو عون، الشرافي، نضال، ثائر، رامي (2018)، دور مؤسسات المجتمع المدني في تعزيز المشاركة السياسية للشباب الفلسطيني، ورقة بحثية من البرنامج التدريبي التفكير الإستراتيجي وإعداد السياسات، المركز الفلسطيني لأبحاث السياسات والدراسات الإستراتيجية "مسارات"، فلسطين.

• هوفمان (2013)، الضم، موسوعة ماكس بلانك للقانون الدولي العام، جامعة أوكسفورد، المملكة المتحدة.

• وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية "وفا"، تأثير جدار الضم والتوسع العنصري على التعليم الفلسطيني، "تاريخ الدخول 14 /10 /2020م"، https://info.wafa.ps/ar_page.aspx?id=8597

• وكالة الصحافة الفلسطينية "وكالة صفا" (2020)، المطالبة بتشكيل لجنة وطنية موسعة لمواجهة الضم، جلسة نظمتها شبكة المنظمات الأهلية، 18 /6 /2020م، "تاريخ الدخول 15 /10 /2020م"، [//https://safa.news/post/285364](https://safa.news/post/285364)

• سالم، وليد (2020)، فلسفات وآليات "الضم" الإسرائيلية وخطط التصدي الفلسطينية، مجلة شؤون فلسطينية، العدد 280، فلسطين.